

مبدأ الوسطية والاعتدال والعمل للدنيا والآخرة (السلوك والعبادات أنموذجا)

أ. م. د. سميرة عبد الوهاب شعبان
قسم التربية الإسلامية - كلية التربية الأساسية

٣١٠ | أ.م. د. سمية عبد الوهاب شعبان

بنبذ الخلافات القبلية، والإقليمية، والفئوية،
ورص الصفوف.

وذكر أيضاً -دام ظلّه- (أن منطق الرسل والأنبياء
هو منطق السلم واللاعنف والاحتجاج العقلاني
من أجل إنقاذ البشرية، حيث وردت كثير من
النصوص القرآنية حول استخدام السلم واللين
والابتعاد عن العنف والغلبة، واستخدام سياسة
العفو، والاعتماد على منهج الشورى كأسلوب
في الإقناع الحر، والحوار السلمي، والمشاركة
في اتخاذ القرار) (٢).

وباستقراء نصوص الشريعة الإسلامية وأحكامها
نجد أن من ابرز خصائصها: الوسطية التي
تعني الموقف المعتدل بين طرفين فلا تميل
إلى طرف دون آخر، وإنما تقف الموقف الذي
يقتضيه الميزان القسط، ولا تسمح بطغيان
طرف على آخر، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو
ولا تقصير.

(١)

وإنما هو القسطاط المستقيم بين المادية والروحية،
والواقعية والمثالية، والفردية والجماعية.

وكما قيل: الوسط فضيلة بين رذيلتين، وقيل:
خير الأمور أوسطها وما روي عن النبي ﷺ أنه
قال: «ياكم والغلو، فأنما أهلك من كان قبلكم
الغلو في الدين» (٣) وقول الامام علي: كرم الله
وجهه -((يُهلك في صنفان، محب مفرط يذهب
به الحب الى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به

المقدمة

أحمدُهُ حمداً يفوت الأعداد، واشهد أنه الواحد
لا كالأحاد، وأصلي على المبعوث إلى جميع
الخلق في كل البلاد، وعلى آل بيته الأطهار،
وصحبه المنتجبين الأخيار .

وبعد؛ الإسلام في أيامنا هذه أحوج ما يكون
إلى من يحسن عرضه على الناس والدعوة
إليه بالحكمة والموعظة الحسنة وجوهر ذلك
الاعتدال في الخطاب والحرص على كسب
العقول والقلوب، وذلك لا يتأتى إلا بالابتعاد
عن التطرف وعن تبني الآراء المسبقة لإرغام
الناس على الأخذ بها، يجب أن لا نحصر
الألوان في لونين فقط أما أبيض وأما اسود
بل لا بد أن نعترف أن هناك ألواناً أخرى،
وكذلك لا بد من وقف المحاولات التي يبذلها
المتطرفون الذين لا يرون العالم إلا من خلال
مناظيرهم لإقصاء من يخالفهم الرأي أو الفهم
ولو كان على ملتهم ودينهم.

وان تعميم روح العدالة أمر يستدعي الاعتدال
أولا والتعایش ثم إشاعة منهج الرحمة
والتراحم، لذلك يذكر المرجع الديني
الشيرازي (أن النبي ﷺ ضرب الرقم الأول
في التاريخ كله في الرحمة بما لا مثيل لها
في تاريخ أي عظيم وقائد) (١) ويؤكد أيضاً
على قضية التعایش والاعتدال وجمع كلمة
المؤمنين واعتبارها واجب على الجميع وذلك

..... أ. م. د. سمية عبد الوهاب شعبان | ٣١١

البغض الى غير الحق وخير الناس في حلا النمط الاوسط فالزموه ((٤) وعليه فقد قسمت خطتي إلى مباحث ومطالب المبحث الأول أسميته: مفهوم الوسطية والاعتدال وأدلتها وفيه مطلبان تناولت في المطلب الأول: تعريف مصطلح الوسطية والاعتدال في اللغة والاصطلاح، والثاني الآيات القرآنية والأحاديث الواردة في الوسطية والاعتدال.

(٢)

• المطلب الأول: تعريف الوسطية والاعتدال لغة واصطلاحاً

الاعتدال في اللغة: هي من العدل ضد الجور، وعدل عن الطريق جار، وعادلت بين الشيئين و(عدلت) فلانا بفلان إذا سويت بينهما وبابه ضرب، و(تعديل) الشيء تقويمه يقال: (عدله تعديلاً فاعتدل) أي قومه فاستقام. (٦) أما في الاصطلاح: عبارة عن الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط. (٧)

وعرفت الوسطية في اللغة: وسطت القوم أسطهم وسطاً وسطة، أي توسطتهم، والتوسيط: أن تجعل الشيء في الوسط، والتوسيط قطع الشيء نصفين، والتوسط بين الناس، من الوساطة، والوسط من كل شيء: أعدله، قال تعالى {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً} (٨) أي عدلاً ويقال: شيء وسط، أي بين الجيد والردى (٩). وفي الاصطلاح عرفت: كلمة (أوسطهم) أي: أمثلهم، وأعدلهم، وأعقلهم (١٠).

والذي يبدو لي عند الربط بين التعريف لكلمتي التوسط والاعتدال أن: التوسط والاعتدال يعني فعل المطلوب والمأذون فيه من غير زيادة ولا نقصان، ذلك أن الزيادة على المطلوب في الأمر غلو وإفراط، والنقص منه تقصير وتفريط، وكل

والمبحث الثاني أسميته مظاهر الوسطية والاعتدال ودورهما في التعليم الديني والتربوي وفيه أربعة مطالب: المطلب الأول: الوسطية والاعتدال في العقيدة والثاني: في الوسطية والاعتدال في العبادات والثالث: في الوسطية والاعتدال في الأخلاق والرابع: تحدثت فيه عن التحذير من الغلو والدعوة الى التسامح والآخر وهو الخامس ختمت به بحثي المتواضع عن دور الاسرة والمدرسة في التحصين الفكري للمجتمع.

وفي النهاية أدعو الله أن يهدينا الصراط المستقيم كما يرددها ملايين المسلمين في اليوم عشرات المرات في صلاتهم وغيرها كما في قوله تعالى {اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين} وبعد التأمل في الآية نجد أن الله تعالى يوجهنا إلى أن ندعو ربنا أن يهدينا الصراط المستقيم لكن ما هو الصراط المستقيم؟ انه ذلك الطريق الوسط المعتدل بين طرفين احدهما: عرف الحق وتركه، فهو مغضوب عليه «غير

٣١٢ | أ. م. د. سمية عبد الوهاب شعبان

من الإفراط والتفريط انحراف وميل عن الجادة والصواب، وخير الأمور أوسطها.

• المطلب الثاني: الآيات القرآنية والأحاديث الواردة في الوسطية والاعتدال

أما في القرآن الكريم: فقد وردت آيات قرآنية كثيرة عن التوسط والاعتدال سواء في العقيدة والتوسط بها، أم في العبادات أم في الأخلاق وغيرها فيما يخص حياة الأفراد وعيشتهم في المجتمع وقد ورد قسم منها في محتوى البحث وسأذكر بعض منها؛ وهي كالآتي:

(١) قوله تعالى {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} (١١) وتفسير الآية ان أمة محمد ﷺ هي وسط بين طرفين لا تتجه لا الى هذا الطرف ولا الى ذاك فهي وسط بين اهل الكتاب والمشركين (١٢).

(٣)

(٢) قوله تعالى {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما} (١٣) تفسير الآية لم يسرفوا لم يزدوا عن الحد ولم يقتروا بتقليل الانفاق وكان انفاقهم بين ذلك قواما عدلا ووسطا (١٤).

(٣) قوله تعالى {قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا عن سواء السبيل} (١٥) وتفسير الآية بتجاوز الحد بالإفراط، والدين

هو دين الله الذي يامر بالتوحيد، فلا تغالوا بان الله هو الاب مدعين ان بيده الابدان والتربية (١٦) .

أما الأحاديث النبوي الواردة في الاعتدال والوسطية فهي كثيرة أيضا وسأذكر بعض منها وهي كالآتي:

(١) قوله ﷺ «إني أرى موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا، وتطوعا ولا تختلعا» (١٧).

(٢) وقوله ﷺ «إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره» (١٨).

(٣) وقال ﷺ «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» (١٩).

(٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه- قال: قال -رسول الله ﷺ - «هلك المتنطعون» (٢٠) قالها ثلاثا أي الغالون المتجاوزون الحدود في أقوالهم.

(٥) قال ﷺ «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم» (٢١).

• المطلب الأول: الوسطية والاعتدال في العقيدة

من المسلم به أن الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال، فهذه الأمة التي فضلها الله عن سائر الأمم جاءت بدين الوسطية والاعتدال لتبلغه للدنيا كلها، وهذه الوسطية واضحة وضوح

..... أ.م. د. سمية عبد الوهاب شعبان | ٣١٣

لشريعة الرسول ﷺ وإن دينهم هو الحد الفاصل بين الروحانية البحتة والمادية الصرفة، ولأجل ذلك صاروا (شهداء على الناس) جميعاً (ويكون الرسول عليكم شهيداً) لأن الرسول شهد عليكم بأنكم تتصفون علماً وعملاً بما علمكم به (٢٤).

وذكر القرطبي في تفسير الآية كما إن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم (أمة وسطاً) أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم، والوسط: العدل، واصل هذا إن أحمد الأشياء أوسطها ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً، أي هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم، وروي عن الامام الرضا -رضي الله عنه- أنه قال: «نحن آل محمد النمط الأوسط الذي لا يدركنا الغالي، ولا يسبقنا التالي» وعرف النمط عند اللغويين بأنه: النمط الطريقة من الطرائق، والضرب من الضروب، يقال: ليس هذا من ذلك النمط أي من ذلك الضرب، والنمط الجماعة من الناس أمرهم واحد (٢٥)، قال ابن الأثير: (كره عليّ الغلو والتقصير في الدين) (٢٦) وفي قوله «لتكونوا شهداء على الناس» أي في المحشر للأنبياء على أممهم (٢٧)

وفي حديث عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعطيت أمتي ثلاثاً لم تعط إلا الأنبياء: كان الله إذا بعث نبياً قال له: ادعني استجب لك وقال لهذه الأمة: ادعوني

الشمس في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإله سبحانه وتعالى يدعو في كتابه الحكيم لأعمار الدنيا كما يدعو للعمل للآخرة، لقوله تعالى: {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور} (٢٢).

(٤)

والوسطية هي الاعتدال وعدم المغالاة، والعمل للدنيا والآخرة معاً، فلا ينس الإنسان حظه من الدنيا، كما أن عليه أن لا ينس آخرته التي إليها معاده، وهذه الوسطية في الإسلام تكريم من الله لهذه الأمة التي حملت شريعة الله إلى الناس كافة لهداية البشرية في ربوع الأرض جميعها، والتي تهدي الناس إلى سبل الرشاد وتشهد على أعمالهم قال تعالى: {وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً} (٢٣).

في تفسير مواهب الرحمن للسبزواري أن لفظ (كذلك) إشارة إلى ما مضى من جعل هدايته قرينة لمعنى الوسطية، والمراد من (الجعل): التقدير والخلق، و(الأمة) الجماعة، والوسط معروف المعيار لتعيين الطرفين إن أضيف إلى الأجسام أو إلى الأعداد، أما أن أضيف إلى المعنويات يكون معياراً لتمييز مرتبتي الإفراط والتفريط المذمومتين، وقد فسر الوسط في الأخبار بالعدل، ويعرف من الآية المباركة لا تشمل جميع الأمة، بل المراد من كان متبعاً

٣١٤ | أ.م. د. سمية عبد الوهاب شعبان

والتعصب، وعليه أن يتجه نحو الصواب دائماً حتى لو تطلب الأمر قدراً من الشجاعة. وكذلك أوضح (دام ظله) في نظريته التي تتعلق بمبدأ اللاعنف، على أهمية أن يتعامل الإنسان مع الآخرين وفق مبدأ الوسطي المعتدل مع إبداء الشجاعة في الثبات على العقيدة، فقد كان الرسول ﷺ ليناً في التعامل مع جميع المسلمين، بل حتى مع أعداء الإسلام، ومع ذلك تم ترسيخ العقيدة الإسلامية ونشرها في معظم أصقاع المعمورة، وهذا دليل قاطع أن الاعتدال منهج حياة يليق بالكرامة البشرية دونما أي شك (٢٩).

أما العلامة الطباطبائي فقد تحدث عن الوسطية في تفسيره الميزان تفسيراً رائعاً وذكر فيه أن أمة محمد ﷺ هي وسط بين طرفين لا تتجه لا إلى هذا الطرف ولا إلى ذاك فهي وسط بين أهل الكتاب والمشركين، فالمشركين والوثنيون لا يرجون بعثاً ولا نشوراً، فلا يهتمون إلا بالحياة الدنيا وزخرفها ويغالون في المادية، فلا يعبئون بالفضائل المعنوية والروحية، أما النصارى فهم يميلون إلى رهبانية ابتدعوها ويرفضون الكمالات الجسمية التي أظهرها الله في النشأة المادية لكي تكون ذريعة إلى نيل ما خُلِقَ الإنسان لاجله. فأصحاب الروح أبطلوا النتيجة بإبطال سببها وأصحاب المادية أبطلوا النتيجة بالوقوف على سببها والجمود عليها. فهذه الأمة قد جمعت الكمالين والسعادتين مادة ومعنى فهي الوسط العدل الذي يقاس

استجب لكم، وكان الله إذا بعث النبي قال له: ما جعل عليك في الدين من حرج، وقال لهذه الأمة: ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله إذا بعث النبي جعله شهيداً على قومه وجعل هذه الأمة شهداء على الناس (٢٨).

(٥)

وقد أكد المرجع الديني السيد ناصر مكارم الشيرازي من خلال الآية على قضية التعايش والاعتدال جمع كلمة المؤمنين واعتبارها واجب على الجميع، وذلك بنبذ الخلافات القبلية، والإقليمية، والفئوية، ورص الصفوف، وإن منهج الوسطية والاعتدال والعفو من أهم ما تتصف به سياسة الدولة الإسلامية آنذاك، وقد اثبت هذا المنهج المعتدل نجاحاً عظيماً في ترسيخ منهج الاعتدال، وتثبيت ركائز الدولة، ووصول منهجها إلى مشارق الأرض ومغاربها، عبر الإقناع وبث الوعي والفكر السليم، فالوسطية هو أسلوب ناجح لحياة فاعلة، ويتفق الإمام الشيرازي مع المنهج الوسطي الذي لا يفرط في الحقوق، وفقاً لمبدأ (لا إفراط ولا تفريط).

وأفكار الإمام الشيرازي رؤية واضحة نحو التمسك بالعقيدة والمبدأ، ولا تعني الوسطية والاعتدال تنازلاً عن الحق والحقوق المدنية أو سواها، بل من الشجاعة أن يتمسك الإنسان بعقيدته، وفي الوقت نفسه يبتعد عن التطرف

..... أ.م. د. سمية عبد الوهاب شعبان | ٣١٥

الغلو والتطرف الاعتدال الذي به تستقيم حياة الإنسان من خلال وسطية نشاطات التنمية ومجالاتها، فبوسطية تلك الصور ستحقق الشمولية المرجوه لكل عمل تنموي، ولهذا كان تأكيد الآية على هذا البند على أساس الجعل الإلهي، الذي يكون تمام سببه كمال العبد في نفسه بينه وبين ربه (٣٢).

وقيل: أن الوسطية حق وخير وعدل، ومطلب شرعي أصيل، ومظهر حضاري رفيع، ليتحقق التكامل والانسجام بين الأوضاع، والتعاون بين الجميع، ويصير الإخاء والإقدام على العمل أساس كل تقدم ورفاه، كما أن حالة الوسطية تؤدي إلى أداء الواجبات وحقوق الله تعالى وحقوق الناس، فلا تقصير في واجب، ولا إهدار لحق، ولا تقصير في الأداء كما أنه لا تظالم أو تناحر ولا صراع أو تنافس غير شريف، ولا تناقض في السلوك والممارسات الاجتماعية ولا تعقيدات أو أمراض نفسية أو اجتماعية، لأن كل إفراط أو شذوذ يؤدي إلى الاضطراب، وكل تفريط في أداء واجب يكون سببا في إثارة المنازعات والخصومات (٣٣).

فخلاصة القول .. أن غاية الجعل الإلهي أن تكون أمة الإسلام أنموذجا حيا وواقعيا لمجتمع متطور أو منضبط يكون انعطافه قدر الإمكان نحو الأفضل، وأن يكون هذا النشاط مثمرا وشاملا ومستمر متواصلا لنمو قدرات هذه الأمة المادية والمعنوية لتكون قدوة ومثالا لبقية الأمم والديانات فهذه التنمية البشرية في القرآن

به كل طرف فهي شهيدة على الناس، ويشهد عليهم الأمل من هذه الأمة وهو النبي ﷺ ومع أن هذا المعنى مقبول ولكن يصح عندما تكون فيه الأمة كميزان لا كشاهد .

(٦)

والشهادة تحمل حقائق أعمال الناس في الدنيا من انقياد وتمرد، ورد وقبول، وصلاح وطلاق، وأداء هذه الشهادة من الآخرة، من قبل كل الشهداء، وحتى من أعضاء الإنسان يوم يقول الرسول ((يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا)) (٣٠).

وهذه الكرامة بالشهادة تخص الأولياء الطاهرين دون العدول من أهل الإيمان فضلا عن من دونهم من الأجلاف وفراعنة الأمة ٠ فالشهادة في هذه الأمة دون أن يتصف كل واحد منهم بها، كما أن بني إسرائيل فضلوا على العالمين دون أن يتصف كل منهم بهذه الفضيلة، ويتبين أن كون الأمة وسطا هو تخللها بين الرسول وبين الناس، لا بين الإفراط والتفريط. وقد أودع الرسول في قلوبكم علم الكتاب والحكمة، وهو الذي قدم لكم سبيل التطهير والتركية (٣١).

وذكر في كتاب التنمية البشرية في القرآن الكريم أن مراد الآية المباركة أن يكون هناك أنموذجا حاضرا صادقا ينظر للحقيقة ويتصدى لها كقدوة، وينظر إليها لمثل أعلى لنبي الوسطية التي تعني الاعتدال، ولا تزال كسمة أساسية في النظرة الإسلامية القرآنية بعيدا عن

٣١٦ | أ.م. د. سمية عبد الوهاب شعبان

صحيحة، والتربية الروحية تعمل على تثبيت العقيدة الدينية، وتربية الضمير، وتنمية الوازع الديني، وممارسة النشاط الروحي والتهديب الخلقي، وممارسة فعالية لشعائر الدين، والفضائل وممارستها، والبعد عن التعصب والجمود والاتكالية والتزمت، والتكامل بين الايمان والعمل الصالح والاخلاص واداء الواجب والانتاج المثمر وانكار الذات (٣٦). وأخيراً.. هناك إطرء سأذكره للفائدة العلمية بخصوص (امةً وسطاً) بالآية فقد فسرت تفسيراً علمياً قيل: المنقول أن الله جعل من امة محمد عدلاً وواسطة بين الرسول والناس وقيل: تكلم آخرون عن سجايا العرب وعدم تطرفهم، وقال آخرون أن الدين الإسلامي دين التسامح وعدم التطرف وقيل: أن موقع الأمة العربية يتوسط العالم، وقد رد على ما ذكر انه لا يبدو أن الآية تتضمن خواص الدين الإسلامي أو سجايا العرب، أو بيئتهم وأيضاً نتفق مع من يقول بتوسط موقع البلاد العربية العالم.

والتأويل العلمي لهذا أن مكة هي بلد الرسول محمد ﷺ والأمة العربية التي انتشر منها الإسلام، ومن نظرة فاحصة في موقع مكة الجغرافي، نجد انه يتوسط اليابسة على الكرة الأرضية في كل الاتجاهات وتشير الآية هذه الحقيقة بل ويذهب بعض الباحثين إلى ابعد من ذلك، فنجد فيما نشرته الأهرام ت ١٩٧٧/٢/٤ م وكذلك في برنامج المعجزة الخالدة إلى إن مكة تقع في مركز التجمع الإشعاعي للتجاذب

هو تكامل الإنسان واستثمار مرحلة الحياة الدنيا لتحقيق القدرة على النجاح والحياة الأكمل والأسعد في عالم الآخرة، وهذه هي محصلة التنمية البشرية لاغير (٣٤).

(٧)

وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك، وتركيز النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى، فضلاً عن إنها حقائق ثابتة، وهي تعد من أعلى المعارف الإنسانية إن لم تكن أعلاها على الإطلاق، وتهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو أسلوب من أعظم الأساليب التربوية، حيث إن للدين سلطاناً على القلوب والنفوس، وتأثيراً على المشاعر والأحاسيس، ولا يكاد يدانيه في سلطانه وتأثيره شيء آخر من الوسائل التي ابتكرها العلماء والحكماء ورجال التربية، فغرس العقيدة في النفوس، هو امثل طريقة لإيجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملاً في الحياة، وتسهم بنصيب كبير في تزويدها بما هو انفع وارشد، إذ أن هذا اللون من التربية يضيفي على الحياة ثوب الجمال والكمال، ويظهرها بظلال المحبة والسلام (٣٥). والتربية الروحية (العقائدية) تعلم الانسان ان الايمان بالله هو الذي يحرره من ربة العبودية للمادة او مطالب الذات الانسانية الجسدية او العقلية، وهذا الايمان هو الاساس لانه تربية

..... أ. م. د. سمية عبد الوهاب شعبان | ٣١٧

تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقارب منه وقوله (وابشروا) أي بالثواب على العمل الدائم وان قل والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل، بان العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره (٤٢).

وان الإسلام ليؤكد على الاعتدال في العبادة فلا ينبغي أن يرهق المسلم أو يؤذي جسده وما روي عن انس - رضي الله عنه - قال: ((جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا أين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟ قال احدهم: أما أنا فاصلي الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا افطر وقال الآخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله أني لأخشاكم لله واتقاكم له لكني أصوم وافطر واصلي وارقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)) (٤٣).

والإسلام وسط في عباداته وشعائره بين الأديان والنحل التي ألغت جانب العبادة كالبوذية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده وبين الأديان والنحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج كالرهبانية المسيحية فالإسلام يكلف المسلم أداء شعائر محدودة في اليوم الليلة أو في السنة كالصوم أو في العمر مرة كالحج .

المغناطيسي بالكرة الأرضية! لا ينكر ذلك، لأنها تتوسطها بين القطبين وكذلك لتوسطها في اليابسة حيث يتجلى سمك القشرة الأرضية التي تكسبها خاصية الجذب (٣٧).

(٨)

• المطلب الثاني: الوسطية والاعتدال في العبادات

الأحكام الشرعية كلها قائمة على اليسر والسماحة والتوسط والاعتدال، لتكون سهلة التطبيق والممارسة على مختلف الناس في حال القوة والضعف، وفي وقت الإقامة والسفر وفي حال الصحة والمرض، وفي سن الشباب والكهولة والشيخوخة فنرى الآيات والأحاديث جامعة للتيسير ورفع الحج كما في قوله تعالى {لا يكلف الله نفساً إلا وسعها} (٣٨) وفي السنة النبوية قال ﷺ «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» (٣٩) ويقصد (بالحنيفية) أي ملة إبراهيم (والسمحة) أي اليسر قال أيضاً ((إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة)) (٤٠) ومعنى (سددوا) اقصدوا السداد من الأمر، وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط وذكر أهل اللغة السداد: التوسط في العمل (٤١) ومعنى (قاربوا) اطلبوا المقاربة وهي القصد أو الاعتدال في الأمر الذي لا غلو فيه ولا تقصير، وان لم

(٩)

ومعاملاتها، وأصولها وفروعها فربنا سبحانه لم يكلف عباده بما يشق عليهم ويغلبهم، ولم يرد بهم العنت والحر، بل انزل دينه ميسراً مطابقاً مستطاعاً فقد راعت الشريعة الإسلامية أحوال المكلفين وظروفهم من الصحة والمرض، والحضر والسفر والاختيار والاضطرار كل أوامره مقرونة بالاستطاعة وتسقط أو تخفف عند عدم الاستطاعة وخير دليل على هذه الأمور القاعدة الفقهية التي مضانها (المشقة تجلب التيسير) أي أن الصعوبة تصير سبباً للتسهيل، ويلزم التوسع في وقت الضيق، فإذا وجد المكلف نفسه في حالة يتحمل فيها عتناً وصعوبة وعناء غير معتاد إذا قام بما هو مكلف به شرعاً، فإن تلك الحالة تصير سبباً لتسهيل التكليف، كالمريض لا يستطيع الصلاة قائماً فيصير مرضه سبباً شرعياً للتخفيف عنه بعدم تكلفه للصلاة قائماً بل بالإذن له والسماح له بأداء الصلاة قاعداً واعتبار صلاته صحيحة ومجزية (٤٧). فالإسلام دين ميسر ليس فيه ما يحرج الناس، ويرهقهم ويؤذيهم، وليس فيه تكليف فوق طاقتهم واستطاعتهم، وأحكام الشرع وتكاليف الإسلام تطبع في نفس المسلم السماحة والبعد عن التكليف والمشقة كما في السفر فهو مضمنة المشقة وسببها وهذه المشقة تجلب التخفيف ومن هذه التخفيفات قصر الصلاة، وجمعها، والفطر في رمضان، وصلاة النفل على الدابة وجواز ترك صلاة الجمعة، والقرعة بين نسائه، لتصاحبه في سفره من تخرج قرعتها.

ويطلب منه أن يستشعر أن تكون حياته متوهجة كلها لله ثم يطلقه بعد ذلك ساعياً منتجاً يمشي في مناكب الأرض ويأكل من رزق الله، ولعل أوضح دليل على ذلك الآية إلا مرة بصلاة الجمعة {يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون} (٤٤). ونهى الإسلام عن تعذيب الجسد وتحميله ما لا يطيق ليس من مناهج الإسلام ووسائله لبلوغ الكمال المنشود، إذ ليس من لوازم هذا الكمال أو مقتضياته فعل ذلك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: بينما النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسال عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ: ((مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه)) (٤٥) وعن انس - رضي الله عنه - قال: ((دخل النبي ﷺ فإذا جبل ممدود بين ساريتين فقال: «ما هذا الجبل»؟ قالوا: هذا جبل لزنب فإذا فترت تعلقت به فقال ﷺ لا حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد)) (٤٦) والتيسير مقصد من مقاصد هذا الدين، وصفة عامة للشريعة في أحكامها وعقائدها، وأخلاقها

..... أ. م. د. سمية عبد الوهاب شعبان | ٣١٩

(١٠)

فتان، فتان» ثلاث مرار أو قال: «فاتناً فاتناً فاتناً»

وأمره بسورتين من أوسط المفصل «قال عمرو لا

احفظهما» (٥٢) وفي ذلك أيضاً ما لا يخفى من

الدعوة الى التوسط والاعتدال في العبادة وقراءة

القران، فالعبادات هي الاسلوب والطريقة الاولى

في التربية الروحية، ففي العبادات تربية جسمية

وتربية اجتماعية، وتربية خلقية، وتربية جمالية،

وكذلك تربية عقلية، فالصلاة هي المرتكز

الاساسي للروح في صلتها بالله، وهي محور

احياء معاني الايمان للانسان، كما انها تقوي

ارادة الانسان وتعوده على ضبط النفس والصبر

والمثابرة والمحافظة على المواعيد، اما الصوم

فهو الرمز العملي لضبط النفس في دين الله،

فهو طهور للنفس يوجهه العقل عن اختيار من

الصائم كي يسترد به حرية ارادته وحرية تفكيره

فاذا استردهما يسمو الى مراتب الايمان الحق

بالله، وهو ما تصبو اليه التربية الروحية، وفي

الزكاة تربية روحية فعن طريقها يتعلم الانسان

اطاعة الاوامر الالهية ومكافحة الانانية والافراط

في النزعة المادية والفردية (٥٣).

(١١)

• المطلب الثالث: الوسطية والاعتدال في

الأخلاق

يقيم المجتمع الإسلامي على الأخلاق

الفاضلة، والفضائل الإنسانية العليا، فيوجب

الإسلام على المسلمين التخلق بالأخلاق

وأما في حالة المرض فرخص لهم التيمم عند

الخوف على نفسه أو من زيادة المرض أبطء

برئه، والقعود في صلاة الفرض والاضطجاع فيها،

والإيماء، والفطر في رمضان، والاستنابة في الحج

وفي رمي الجمرات، وإباحة محظورات الإحرام

مع الفدية والتداوي بالنجاسات، واساغة اللقمة

بالخمر إذا غص، وإباحة النظر للطبيب لعورة

المريض لضرورة العلاج (٤٨) لقوله تعالى {يريد

الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً}

(٤٩) يظن البعض أن دين الإسلام دين قسوة

ولكن هذا الظن خاطئ إنما جاء الإسلام هدى

ورحمة للعالمين من يوم نزوله إلى قيام الساعة،

والرأفة والرحمة من ابرز صفات صاحب الرسالة

التي قال الله تعالى واصفاً إياه {وما أرسلناك إلا

رحمة للعالمين} (٥٠) فقد أمر ﷺ أمته برحمة

كل من أوجده الله تعالى في الدنيا من إنسان

وحيوان، وهذا إعلان للعالمين قاطبة أن رسالته

ليست عدواً لأحد من البشر فكان ﷺ يأمر

بالتوسط في القراءة في الصلاة القراءة الجهرية

وهذا مصداق قوله تعالى {ولا تجهر بصلاتك

ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً} (٥١)

والسبيل هنا هو التوسط، الذي هو الوسطية

والاعتدال، وفي حديث انه كان معاذ - رضي الله

عنه - يصلي مع النبي ﷺ ثم يرجع فيؤم بقومه،

فصلى العشاء فقرأ بالبقرة فانصرف الرجل فكان

معاذاً تناول منه فبلغ النبي ﷺ فقال: «فتان،

٣٢٠ | أ.م. د. سمية عبد الوهاب شعبان

الحسنة، والتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، لكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً فاضلاً مثالياً، فإذا دعا المسلم الناس إلى الإسلام فليكن ذلك بالموعظة الحسنة، وإذا جادل غيره جادله بالحسنى، لقوله تعالى {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتتي هي أحسن} (٥٤) .

ولقد اهتمت الشريعة الإسلامية اهتماماً متميزاً في ترسيخ الأخلاق الكريمة في النفوس، واقتلاع الأخلاق الذميمة منها، إلى حد أناطت نصوصها بعثة الأنبياء حصراً ببناء مكارم الأخلاق في النفوس (٥٥) فقد روي عن رسول الله ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٥٦) .

وعن علي - كرم الله وجهه - في وصية لمحمد ابن الحنفية قال: (وأحسن إلى جميع الناس، كما تحب أن يحسن إليك، وارض لهم ما ترضاه لنفسك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وحسن مع جميع الناس خُلُقَكَ، حتى إذا غبت عنهم حنوا إليك، وإذا مت بكوا عليك، وقالوا: (إنا لله وإنا إليه راجعون) ولا تكن من الذين يقال عند موته (الحمد لله رب العالمين) اعلم أن رأس العقل بعد الإيمان بالله - عز وجل - مداراة الناس، ولا خير فيمن لا يعاشر بالمعروف من لابد من معاشرته، حتى يجعل الله إلى الخلاص منه سبيلاً، فاني وجدت جميع ما يتعايش به الناس، وبه يتعاشرون، ملء مكيال، ثلثاه استحسان،

وثلثه تغافل) (٥٧) .

فهذه هي معالم الوسطية والاعتدال في الإسلام وهي وسيلة التعايش بين الناس والمجتمع الواحد وديننا الإسلامي كله خلق فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين وقد قيل: ان حسن الخلق بذلُك الندي، وكف الأذى، واحتمال الأذى؟ وقيل: حسن الخلق بذل الجميل وكف القبيح، وقيل التخلي من الرذائل، والتحلي بالفضائل.

فحسن الخلق يقوم على أربعة أركان: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل، ودماثة الخلق تقوم على أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب، وكل خلق محمود مكتنف بخلقين ذميمين، وهو وسط بينهما، وطرفاه خلقان ذميان، كالجود الذي يكتنفه البخل والتبذير، والتواضع الذي يكتنفه خلقا الذل والمهانة .

فان النفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت على احد الخلقين ولا بد، فإذا انحرفت عن خلق - الصبر المحمود - انحرفت أما إلى جزع وهلع.

(١٢)

وإذا انحرفت عن التواضع أما إلى كبر وعلو، وأما إلى ذل ومهانة وحقارة، فالأخلاق الذميمة يولد بعضها بعضاً، كما إن الأخلاق الحميدة يولد بعضها بعضاً. وصاحب الخلق الوسط: مهيب محبوب، عزيز جانه، حبيب لقاؤه، وفي

..... أ. م. د. سمية عبد الوهاب شعبان | ٣٢١

صفة نبينا محمد ﷺ «من رآه بديهة هابه، ومن خالطه عشرة أحبه» (٥٨).
ولقد كان أخلاق وسلوك هدي النبي ﷺ قائما على الاعتدال فقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد -وهو يتحدث عن هدي النبي ﷺ في الكلام: (وكان إذا تكلم بكلام مفصل مبين يعده ألعاد، ليس بهذر مسرع لا يخفض ولا متقطع، تتخلله السكتات بين أفراد الكلام بل هديه فيه أكمل الهدي فعن عائشة -رضي الله عنها - أنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا -أي الكلام، وإنما يتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول ولا تقصير».

وذكر أيضا عن اللباس أن أقواما يرون أن لبس الصوف دائما أفضل من غيره فيتحرونه ويمنعون أنفسهم من غيره، وكذلك يتحرون زيا واحدا من الملابس ويتحرون رسوما وأوضاعا وهيئات يرون الخروج عنها منكرا وليس المنكر إلا التقيد بها، والمحافظة عليها وترك الخروج عنها أي التمرس في موقع واحد، وذلك هو التطرف الذي نهى عنه الإسلام، فالذين يمتنعون عما أباح من الملابس والمطاعم تزهذا وتعبدا، بإزائهم طائفة قابلوهم فلا يلبسون إلا اشرف الثياب، ولا يأكلون إلا الين الطعام، فلا يجوزون لبس الخشن ولا أكل طعاما إلا تكبرا وتجبرا، وكلا الطائفتين هديها مخالف لهدي النبي ﷺ وقال: بعض السلف كانوا يكرهون الشهرتين من العالي والمنخفض وهو يؤكد اختيار النبي ﷺ للوسطية والاعتدال

في هديه كله حتى في ملبسه (٥٩).
ووصانا ديننا الإسلامي الاعتدال في المشي وغيض الصوت وان الله سبحانه وتعالى فضل الإنسان على سائر المخلوقات وجعله وسطا بينهم أي بين (الملائكة والجان) ولما كان خلقه وسطا، كان سلوكه وتصرفاته محكوم عليها بمشيئة الله -بالتوسط والاعتدال - فالحكمة الإلهية اقتضت التوازن في السلوك البشري لفوائد جملة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، فأمر بالاعتدال بالمشي لما فيه من وقار وهيبة للمسلم، وأمره بالاعتدال بالكلام لما فيه من جلال القدر للمتكلم، وحسن الإصغاء من المستمع، فالصوت العالي يؤذي الأذن ويشتت الانتباه ويوتر الأعصاب، ومن عظيم فضل الله تعالى أن جعل الأمر بالاعتدال بالمشي والكلام على لسان لقمان الحكيم لابنه، وفي هذا أمر الهي تربوي هام يجب أن يتبته إليه المربين لقوله تعالى {واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير} (٦٠).

(١٣)

والقصد في المشي: أي التوسط فيه، والقصد ما بين الإسراع والبطء يقال: قصد فلان في مشيته: إذا مشى مستويا لا يدب ديبب المتماوتين، ولا يثب وثوب الشياطين، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان إذا مشى أسرع فلا بد

٣٢٢ | أ.م.د. سمية عبد الوهاب شعبان

أن يحمل القصد هنا على ما جاوز الحد في السرعة. وأما غض الصوت: أي انقص منه، واخفضه ولا تتكلف رفعه، فإن الجهر بأكثر من حاجة يؤذي السامع، وجملة أن أنكر الأصوات الصوت الحمير، تعليل للغض من الصوت أي أوحشها، وأقبحها، وذكر ابن القيم (٦١) عن هدي مشيه ﷺ هي مشية أولي العزم والهمة والشجاعة وهي اعدل المشيات واروحها للأعضاء وأبعدها من مشية الهرج والمهانة والتماوت فإن الماشي أما أن يتماوت في مشيه ويمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة وهي مشية مذمومة قبيحة، وأما أن يمشي بانزعاج واضطراب مثل الجمل الأهوج وهي مشية مذمومة قبيحة وأما هونا وهي مشية عباد الرحمن كما وصفهم بها في كتابه فقال {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا} (٦٢) ومن أوضح الأمثلة على وسطية الإسلام في السلوك والأخلاق دعوته المتكررة إلى التوسط والاعتدال في الإنفاق والتحذير من التطرف في الإسراف أو التقثير كما يصف الله عباده بالتوسط بقوله {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما} (٦٣).

التلاشي ليمدحه الناس أو ليؤرخ له (٦٤). وذكر الشيخ البهادلي أيضا أن الإنسان قادر بأقدار الله تعالى على تهذيب نفسه عن الأخلاق الذميمة شرعا وعقلا، وتنمية ملكاته الفاضلة شرعا وعقلا، ومع اختلاف العقلاء في شأن من شؤون الأخلاق، في حسننها وقبحها وكيفية تنميتها أو تهذيبها فالمرجع في هذا كله وغيره مما يقع فيه الاختلاف هو النص الشرعي، أما اختلاف الشرع مع العقل -بما هو عقل - فلا يوجد له مصداق أبدا (٦٥) والاختلاف بما تتضمنه من قيم ومعايير للسلوك هي أحد الجوانب الهامة في تكوين شخصية الانسان، فهي طاقات للعمل ودوافع للنشاط بمعنى انه اذا تكونت لدى الفرد القيم المرغوب فيها فانه يسعى دائما الى العمل الذي يحققها وتكون له بمثابة المرجع او المعيار الذي يقوم به اعماله، ويطبّعها بطابع الاتساق والانتظام، ويجنب صاحبها التناقض والاضطراب، ومن ثم يمكن التنبؤ بسلوكه، ويمكن القول انه على شتى وسائط التربية في المجتمع مشاطرة المنزل مسؤولية التربية الخلقية.

(١٤)

واذا كانت التربية هي التي تكسب السلوك وتعده وتغيره وتنمطه فان عالم التربية لا يقتصر عمله على وصف سلوك افراد جماعة معينة، ولكنه يتعدى هذا الى القيام بمسؤوليته

فالأخلاق المبنية على هذه العقيدة تجعل صاحبها مراقبا لربه، وله من داخله ما يحفزه لفعل الخير، ويردعه عن ارتكاب الشر، أما بدون هذه العقيدة فقد تدعو الأخلاق لتطبيق القوانين لغرض حفظ صاحبها أو مجتمعه من

..... أ. م. د. سمية عبد الوهاب شعبان | ٣٢٣

التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون} (٧٠). وعليه ما يكون سنة في حال وبدعة في حال ينبغي الاعتدال فيه والحذر من مجاوزة الحد لقوله تعالى {قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق} (٧١). وديننا الإسلامي نهانا عن البدع والابتداع وحذر من مخالطة المبتدع وأهل المعاصي ومنعنا من معاشرتهم ومصاحبتهم بعد اليأس من إصلاحهم وهدايتهم، وإلا فإذا كانت الصلة بهم بداعي إرشادهم إلى هدايتهم فتكون معاشرتهم والحالة هذه من أهم الواجبات باعتبارها في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧٢).

(١٥)

وقد نقل عن أبي عبد الله -عليه السلام - قولاً: عن رسول الله ﷺ ذكر فيه ((إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فاطهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقعة، وباهتوهم كي لا يطمعوا في الفساد في الإسلام «ويحذرهم الناس» ولا يتعلمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة)) (٧٣). وكثير من الناس الذين ابتلوا بالتعصب قد يعتبر نفسه في موقع الوسط؛ لأنه يرى نفسه في تعصبه بين منه هو أكثر تطرفاً وبين من

الأساسية وهي توجيه هذا السلوك وجهة معينة، أو منعه من أن يتجه وجهة أخرى.

• **المطلب الرابع: التحذير من الغلو والدعوة إلى التسامح**

نهى الله سبحانه وتعالى عن التطرف الديني وهو الغلو وإن الله سبحانه بين أن القرآن الكريم هو أساس الدين وأصله حيث قال: {تبيان لكل شيء} (٦٦) وقال تعالى {إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله} (٦٧) وإن الرسول ﷺ يبلغ ويبين للناس عن أمر دينهم، وإن الغلو فيه زيادة تعني خروجاً عن قاعدة الوسط في الإسلام إلى حد الانحراف والتفريط، وهو أمر مرفوض في الإسلام لأنه دين توحيد وقد نهى الله عز وجل عن التفرق والاختلاف الذي يعد التطرف في الدين أحد أسبابه لقوله تعالى {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء} (٦٨) فلذلك عرف الغلو: مجاوزة الحد، والإفراط: هو بمعنى الغلو، وهو تجاوز القدر، والتفريط هو بمعنى التقصير (٦٩).

والتطرف في الدين فيه مشقة وهو يتعارض مع تعاليم الإسلام الداعية إلى اليسر، فيسر الإسلام خاصة من خصائصه، التي امتاز بها عن من سواه من الأديان لقوله تعالى {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال

٣٢٤ | أ.م. د. سمية عبد الوهاب شعبان

ومن هنا فالانتصار للحق على الباطل مهما كلف من تضحيات ليس تعصبا مذموما، بل هو الجهاد بعينه، وعليه فالتعصب المعيب شرعا ما كان مجانباً للحق ومبعدا عنه، وما كان نصرا للباطل وعونا للظلم، وهو حالة متخلفة لاتجتمع مع الإيمان بالله وتوحيد الفعال باتجاه رضاه (٧٦). أما المسائل التي وقع فيها الخلاف بين المسلمين من المسائل الأصولية أو التشريعية، كالصفات الإلهية وإنها عين الذات أو سلبية أو ثبوتية، وكالكيفية التي يكون عليها المسلم في صلاته وطهارته، وأمثال هذه المسائل المختلف فيها بين الفرق والمذاهب بل بين الفرقة الواحدة والمذهب الواحد، فإنها ليست من البدع.

(١٦)

وإنما هي اجتهادات في فهم النص الشرعي أو في تطبيقه على مصادقه أو في استنباط الحكم في القواعد العامة، والمخطئ في اجتهاده معذور والمصيب فيه مأجور ما دامت النية هي السلوك إلى الله سبحانه والقرب منه عز وجل، وإلا لكان الإسلام بكل مفرداته مجمعا عليه، ولكان المسلمون جميعا كلهم فرقة واحدة ومذهبا واحدا، وهذا ما لم يحصل حتى بين صحابة النبي ﷺ (٧٧). وعليه فالتعصب أمر مذموم في الإسلام وجذوره تعود إلى ما سماه رسول الله ﷺ دعوى

هو اقل منه فيحسب إن ذلك كاف لإثبات انه يسير في خط الوسطية والاعتدال، وذلك مقياس غير منضبط لأنه لن يعدم أن يجد أحدا اشد منه تعصبا، ولن يعدم إن يجد من هو اقل منه تفريطا، والتعصب هو الإفراط في الحب، بداعي هوى النفس، إلى الحد الذي يرى فيه الشر خيرا، وقد مثل لها الإمام علي بن الحسين - رضي الله عنه - فيما روي عنه انه قال: (العصبية التي يأثم عليها صاحبها، أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم) (٧٤) فكم من دخل معركة أو صراعا أو نقاشا أو خلافا مع الآخرين، دون أن يكون المحفز لهذا هو رؤية الحق أو أمر الشرع بل قد يلام أو يعاب من لا يعين صديقه أو قريبه أو رفيقه وان كان ظالما، حتى اشتهر في الجاهلية قولهم: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) إلا أن رسول الله ﷺ أبان للناس بان الانتصار لا ينبغي أن يكون إلا للحق والعدل مهما كان مصداقه بعيدا بالاعتبارات الجاهلية فقال: ((انصر أخاك ظالما او مظلوما، فقليل يارسول الله هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟ قال: تأخذ فوق يديه)) (٧٥). هذا هو النصر الحقيقي، بان تحمله على ترك الظلم لينتصر على نفسه الإمارة ويفلح بالسعادة الأبدية، أما أن تعينه على ظلمه لأنه صديق أو لأنه قريب أغريته بالظلم وأرديته في الهاوية.

..... أ. م. د. سمية عبد الوهاب شعبان | ٣٢٥

جعل من التسامح والتعايش والاتصال والحوار المفتوح ضرورات لا بد منها لتحقيق مصالح المجتمعات جميعها.

ويعني التسامح مجموعة السلوكيات والممارسات الفردية والجماعية التي تهدف إلى نبذ التطرف والتعصب وتقويم كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة للقيم السائدة وإعادته إلى الطريق الصحيح، بم يتوافق وقيم المجتمع الذي يعيش فيه. وإذا كانت فكرة التسامح بسيطة وشفافة في حضورها فإنها كارثية وقاتلة في غيابها، وان غياب التسامح يعني انتشار ظاهرة التعصب والعنف وسيادة عقلية التحريم والتجريم في السلطة وخارجها من قبل جماعات التطرف والتشدد، أو ما اصطلح على تسميته بالأصولية سواء على الصعيد الفكري أو السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو ما يتعلق بنمط الحياة (٨٠).

الجاهلية المذمومة التي لا تؤمن عواقبها، لأنه تغيب العقل والحكمة ويبعد الإنسان عن التسامح والوسطية ويدفعه إلى الغضب الشديد والقيام بتصرفات هوجاء لاتحمد عواقبها، وقد تصل إلى انتهاك الحرمات وإيذاء الناس وإلى القتل ولذلك ذكر ابن القيم في مدارج السالكين: (وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: أما إلى تفريط وإضاعة، وأما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه؛ كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما إن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد (٧٨) وقد نهى الله عن الغلو بقوله: {يا اهل الكتاب لاتغلو في دينكم غير الحق} (٧٩). فلذلك دعانا ديننا الإسلامي إلى التسامح لان المجتمعات الإنسانية تنطوي على درجة كبيرة من التباين والتوحد، حيث يتجلى هذا التباين في العدد الكبير من الأعراق والأجناس والأديان والقوميات التي تحمل قيما ومعتقدات تؤدي إلى ثقافات مختلفة، ويتجلى التوحد في إن كل أعضاء المجتمع الإنساني يشتركون في كونهم يسعون للعيش بكرامة وسلام وتحقيق طموحاتهم ومصالحهم وعلى ذلك فان ما يجمع الناس هو أكثر مما يفرقهم وفي العصر الحالي فان الاحتكاك وتواصل المجتمعات مع بعضها البعض وتشابك المصالح بينها نتيجة لشورة الاتصالات والمعلومات والمواصلات



(١٧)

المصادر

الخاتمة

خير ما استفتح به مصادر البحث القران الكريم.

(١) نظرية اللاعنف عند الامام للشيرازي (دراسة مقارنة) د. اسعد شريف الامارة، مركز الامام الشيرازي للبحوث والدراسات، ٢٠٠٣م، دار العلوم بيروت ص (٧٧).

(٢) نفس المصدر اعلاه مع رقم الصفحة .

(٣) حديث اخرجه البيهقي في سننه (١٢٧ / ٥).

(٤) نهج البلاغة الخطبة (١٢٧).

(٥) معالم في الوسطية والاعتدال، ابو الحسن مصطفى بن اسماعيل السجاني (١ / ٥) تفسير

فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القران، للامام زكريا الانصاري الشافعي ت ٩٢٦هـ تحقيق د. السيد الجميلي د. احمد السايح مركز الكتاب للنشر ط ١-١٩٩٩م بتصرف.

(٦) مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، ت (٦٦٦هـ) دار الكتاب العربي ص (٤١٧)، معجم الصحاح لاسماعيل بن حماد الجوهري دار المعرفة، ط ٢، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م ص (٦٨٠) بتصرف.

(٧) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني ت (٨١٦هـ) دار الفكر، ط ١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م ص (١٠٦).

(٨) سورة البقرة اية (١٤٣).

(٩) معجم الصحاح للجوهري ص (١١٣٨).

واخيرا وبعون الله تعالى وبعد الانتهاء من كتابة البحث وجدت ان الخصص ماكتبه في بحثي بخاتمة وبصورة موجزة وهي كالآتي: (١) عرفت الوسطية والاعتدال وعرفت ان الجمع بين طرفين يكون الخير في اوسطهم . (٢) الاعتدال والوسطية هي منهج الحق ومنهج الانبياء واتباعهم، ويتمثل ذلك بالاسلام والرسول ﷺ وسنته، ومنهج السلف بعد ظهور الالهواء والافتراق.

(٣) الوسطية هي خاصية الاسلام البارزة، التي تعتبر تجليته للناس من اجل ما يقدم للاسلام من خدمات في هذه السنوات العجاف التي تشن فيها اكبر هجمة على الاسلام والمسلمين.

(٤) ان الدفاع عن الاسلام والدعوة اليه في حاجة الى رجال يملأ قلوبهم الاخلاص والصدق، ويملا عقولهم الوعي والعلم والمعرفة، يعرضون الاسلام فيحسنون عرضه ويدافعون عنه فيعز جانبه وتعلو رايته وهم في كل ذلك يسيرون على خط الوسطية والاعتدال .

(٥) وجدت ان التطرف والغلو في الدين يؤدي الى تفكك المجتمع وانحلاله، واشاعة الفتن والضغائن بين افراده، وهذا مايبتغيه اعداء الاسلام.

..... أ. م. د. سمية عبد الوهاب شعبان | ٣٢٧

(١٠) مجمل اصول اهل السنة والجماعة في العقيدة د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الصفوة للنشر، ط ٢، ١٤١٢ هـ ص (٢٨).

(١١) سورة البقرة اية (١٤٣)

(١٢) مختصر تفسير الميزان، للعلامة الطبطبائي، اعداد كمال مصطفى شاكر، طليعة النور للنشر، ط ٥، ص (٣٣).

(١٣) سورة الفرقان اية (٦٧).

(١٤) مختصر تفسير الميزان ص (٤٢٧).

(١٨)

(١٥) سورة المائدة اية (٧٧).

(١٦) مختصر تفسير الميزان ص (١٥١).

(١٧) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم الجعفي البخاري، تحقيق محمد احمد اسماعيل، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، مكتبة الرحاب، كتاب المغازي باب بعث ابي موسى الاشعري، ومعاذ بن جبل الى اليمن قبل حجة الوداع (٢٨١/٥) رقم الحديث (٤٠٨٦).

(١٨) اخرج الامام احمد في مسنده (٤٧٩/٣).

(١٩) اخرج البخاري (٩٣/١).

(٢٠) اخرج في صحيح مسلم بشرح النووي (٢٢٠/١٦).

(٢١) اخرج ابو داود في كتاب الادب باب

الحسد (٢٧٦/٤). رقم الحديث (٤٩٠٤).

(٢٢) سورة الملك آية (١٥).

(٢٣) سبق تخريج الآية ص (٤).

(٢٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن عبد الأعلى بن علي رضا بن عبد العلي الموسوي السبزواري، ط ٥، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، مطبعة نكين (١١٩ / ١١٣ / ٢).

(٢٥) ينظر مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي ت ٦٦٦ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ص (٦٨٠).

(٢٦) ينظر النهاية في غريب الحديث، مجد الدين محمد بن محمد الجزري، ابن الاثير ت (٦٠٦ هـ) المكتبة العلمية - بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م (١١٩/٥). والاثر اخرج ابن ابي شيبة في مصنفه (٢٣٤/٣).

(٢٧) الجامع لاحكام القرآن، لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م (٥٥٧، ٥٥٨/١).

(٢٨) لم اقف على رواية الحديث الا في كتب التفاسير كما ورد في تفسير القرطبي اعلاه مع الجزء والصفحة.

(٢٩) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل لناصر المكارم الشيرازي، الناشر مدرسة الامام علي (٣٣٨ / ١).

(٣٠) سورة الفرقان اية (٣٠).

(٣١) مختصر تفسير الميزان، للعلامة الطباطبائي اعداد كمال مصطفى شاكر، الناشر طليعة نور، ط ٥، ١٤٣٢ هـ ص (٣٣).

(٣٢) سورة البقرة آية (١١١).

(٣٣) التنمية البشرية في القرآن الكريم، دراسة موضوعية، طلال فائق الكمالي ص (٢٧٩).

٣٢٨ | أ.م. د. سمية عبد الوهاب شعبان

- (٣٤) الوسطية مطلباً شرعياً وحضارياً، الدكتور وهبة الزحيلي، مؤتمر الوسطية منهج حياة، الكويت، ٢٠٠٥ م ص (١،٣) .
- (٣٥) الأسس الفلسفية للحدثاثة، دراسة مقارنة بين الحدثاثة والإسلام، صدر الدين القبنجي ص (١٤١) .
- (٣٦) العقائد الإسلامية، محمد السيد سابق، ط ١٠، ١٤٢٠-٢٠٠٠م، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ص (١٠) .
- (٣٧) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، عبد الجواد السيد بكر، ط ١، ١٩٨٣م ص (١٨٢) .
- (٣٨) التفسير العلمي للآيات القرآنية، المهندس ضياء جواد العاملي، دار الكتاب العربي، بغداد، ط ٢، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص (٣٨) .
- (٣٩) سورة البقرة اية (٢٦٨) .
- (٤٠) اخرج به البخاري في صحيحه (٣٥/١) رقم الحديث (٣٩) كتاب الإيمان، باب (الدين يسر) .
- (٤١) نفس المصدر اعلاه مع الجزء والصفحة.
- (٤٢) مختار الصحاح للرازي ص (٢٩١) .
- (٣٤) صحيح البخاري كتاب الترغيب في النكاح رقم الحديث (١٩/٢) رقم الحديث ٥٠٦٣ .
- (٤٤) سورة الجمعة اية (٩) .
- (٤٥) اخرج به البخاري في صحيحه (٣٤٩/٣) .
- كتاب الايمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية برقم (٦٧٠٤) .
- (٤٦) اخرج به البخاري في صحيحه (٢٥٥/١) بالرقم (١١٥٠) كتاب التهجد، باب مايكره من التشديد في العبادة.
- (٤٧) الوجيز في شرح القواعد الفقهية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص (٥٤) .
- (٤٨) الوجيز في شرح القواعد الفقهية (٥٨) .
- (٤٩) سورة النساء اية (٢٨) .
- (٥٠) سورة الانبياء اية (١٠٧) .
- (٥١) سورة الاسراء اية (١١٠) .
- (٥٢) اخرج به صحيح البخاري (١/١٦٤) بالرقم (٧٠١) باب الجماعة والامامة.
- (٥٣) فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف، ص (٢٠٤، ٢٠٦) .
- (٥٤) سورة النحل اية (١٢٥) .
- (٥٥) تهذيب النفس، د. احمد البهادلي، ديوان الكتاب للنشر، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م ص (١٠٢) .
- (٥٦) حديث اخرج به الحاكم في مستدركه (٦١٣/٢) وقال صحيح على شرط مسلم، صححه محمد ناصر الالباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٧٥) .
- (٥٧) من لا يحضره الفقيه للشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت (٣٨١) دار المرتضى بيروت، ط ١، ١٤٢٧-٢٠٠٦م (٤/ ٩٧٦) كتاب الفرائض والمواريث، مسألة (٧٦٣) ومن الفاظ رسول الله ﷺ الموجزة التي لم يسبق لها.

..... أ.م. د. سمية عبد الوهاب شعبان | ٣٢٩

(٥٨) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، محمد ابي بكر بن ايوب ابن القيم الجوزية، ت (٧٥١)، فصل الدين كله (٢٤٤٤).

خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين (٣/ ٣٩٦، ٣٩٨). (٧٦) تهذيب النفس للشيخ البهادلي ص (١٦٢، ١٦١).

(٥٩) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية، ت (٧٥١) مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م (٣/ ١٣٢). (٦٠) سورة لقمان اية (١٩).

(٦١) نفس المصدر اعلاه لزاد الامعاد مع الجزء والصفحة.

(٢٦) سورة الفرقان اية (٦٣). (٦٣) سورة الفرقان آية (٦٧).

(٦٤) تهذيب النفس د احمد البهادلي ط ١ - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م ديوان الكتاب ص (٢٩٤).

(٦٥) آداب العشرة د احمد البهادلي ط ١ - ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م ديوان الكتاب ص (٧٠).

(٦٦) سورة النحل اية (٨٩).

(٦٧) سورة النساء اية (١٠٥).

(٦٨) سورة المائدة اية (٥٦).

(٦٩) مختار الصحاح للرازي (٤٧٩، ٤٧٩).

(٧٠) سورة الاعراف اية (١٥٧).

(٧١) سورة المائدة اية (٧٧).

(٧٢) اداب العشرة للبهادلي ص (١٤٨).

(٧٣) وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، دار احياء التراث العربي، بيروت ط ٤ - (٥٠٨/١١).

(٧٤) وسائل الشيعة (١١/ ٢٩٧).



